قصِّروا الأمَل واستعدّوا لبغتةِ الأجل

الحمد لله الواحد القهار، جعل في تعاقب الليل والنهار عبرةً لأولي الأبصار، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الغفار، حكم بفناء هذه الدار، وأمر بالتزود لدار القرار، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار، وصحبة الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار. أمَّا بعد: فيا أيّها المسلمون: اتَّقوا الله واشكرُوه على ما أولاكم من الإنعام وطوَّل، وقصِّروا الأمَل، واستعدّوا لبغتةِ الأجل، فما أطال عبدٌ الأمَلَ إلا أساءَ العمل، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أيها الأحبة: بوابةٌ عجبًا لها ما أعظمها! ما أوسعها! اتسعت لملايين البشر على مر التاريخ، كلٌّ يدخل منها ويمضي، دخل منها الأغنياء والفقراء، والكُبراء والحقراء، والرجال والنساء، اتسعت لملايين الأحداث، أممٌ تُباد ودولٌ تُشاد، حروبٌ طاحنة ونوازل ساخنة، عجبًا لها من بوابة، لم تضِقْ يومًا بالموتى ولا بالمواليد، ولا بالأفراح ولا بالأتراح، إنها بوابة الحياة الدنيا الفانية تلج من بوابتها السنون تلو السنين، وها هو العام الثالث والأربعون بعد الأربعمائة والألف

للهجرة قد أزف رحيله، وقرب تحويله، ها هو يطوي بساطه، ويقوِّض خيامه، ويشدُّ رحاله، أين ليله؟! أين نهاره؟! أين يومه؟! أين شهره؟! أين صيفه؟! أين شتاؤه؟! أين أفراحه؟! أين أحزانه؟! أين أنفاسه؟! أين لحظاته؟! إي وربي، إنها دوامة الحياة الدنيا لا تقف لأحد، لا تنتظر أحدًا، لا تحابي أحدًا.

فالإنسان منذ أن نزل من بطن أمه وهو يغذ السير في طريقه المقدر، ومرور الأيام والأعوام يدنيه شيئًا فشيئًا من نهاية الطريق، فهو اليوم أقرب منه أمس، وهو غدًا أقرب منه اليوم،

عباد الله: عام كامل تصرمت أيام زائنه ما حوى، من الحِكم والعبر، فلا إله إلا الله، كم شقي فيه من أناس، وكم سعد فيه من آخرين، وتفرقت أوصاله يودعنا إلى الآخرة!!

كم من طفل قد تيتم، وكم من امرأة قد ترملت، وكم من متأهل قد تأيم!!

كم من مريض قد تعافى، وكم سليم في التراب توارى!!

كم من أهل بيت يشيعون ميتهم، وآخرون يزفون عروسهم!!

وكم من دار تفرح بمولود، وأخرى تعزى بمفقود!!

وكم من دموع فرحٍ في العيون ترقرقت، وعبرات حزن على الخدود تحدرت، آلام تنقلب أفراحًا، وأفراح تنقلب أتراحًا، أيام تمر على أصحابها كالأعوام، وأعوام تمر على أصحابها كالأيام.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها *** وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا *** فإنما الربح والخسران في العمل

فالعاقل من اتعظ بأمسه، واجتهد لرمسه، والليالي والأيام خزائن الأعمال ومراحل الآجال، تبلي الجديد وتقرّب البعيد، فاحذروا الدنيا ومكائِدَها، فكم غرَّت من راكن إليها، وصرعت من مُكِبٍّ عليها، فعن ابن عمرَ –رضي الله عنهما– قال: أخَذَ رسول الله بمَنكبي فقال: "كُن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل". رواه البخاري.

وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتِك لموتك".

ذهب عامُكم شاهدًا لكم أو عليكم، فاحملوا زادًا كافيًا، وأعِدّوا جوابًا شافيًا، واستكثِروا في أعمارِكم من الحسنات، وتدارَكوا ما مضَى من الهفَوات، وبادروا فرصةَ الأوقات، فعن جابر –رضي الله عنه– قال: سمعت النبيَّ وهو يَعِظ رجلاً ويقول له: "اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ: شبابَك قبل هرَمِك، وصحَّتَك قبل

سقمَك، وغِناك قبل فقرك، وفراغك قبلَ شغلك، وحياتك قبل مَوتِك، فما بعد الدنيا من مستَعتَب، ولا بعد الدنيا دارٌ، إلا الجنة أو النار". رواه الترمذي.

يا من قد بَقِي من عمُره القليل، ولا يدرِي متى يقَع الرّحيل، يا مَن تُعدّ عليه أنفاسه: استدرِكها، ويا من ستفوت أيامه: أدرِكها، نفسك أعزُّ ما عليك فلا تهلِكها، فعن أبي مالك الأشعري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله: "كلُّ النّاس يغدو، فبائعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو موبقها". رواه مسلم.

ويا من أقعده الحِرمانُ، وأركسه العِصيان: كم ضيّعتَ من أعوام، وقضيتَها في اللّهوِ والمنام، كم أغلقتَ بابًا على قبيح!! كم صَلاةٍ تركتَها، ونظرةٍ أصبتها، وحقوقٍ أضعتها، ومناهٍ أتيتَها، وشرورٍ نشَرتها!!

راجع نفسك فلعله لم يبق من عمرك إلا ساعات أو أيام، قلوب مريضة عز شفاؤها، وعيون تكحَّلت بالحرام فقل بكاؤها، وجوارح غرقت في الشهوات فحقّ عزاؤها.

سبحان الله! ألم يأن لأهل الغفلة أن يدركوا حقيقة هذه الدار؟! فهل رحِم الموت منَّا مريضًا لضعف حاله وأوصاله؟! هل ترك كَاسِبًا لأجلِ أطفالِه؟! هل أمهَلَ ذا عِيال من أجلِ عِياله؟! أين من كانوا معَنا في الأعوام الماضية؟! أتاهم هادِم اللذات وقاطع الشهوات ومفرّق الجماعات، فأخلى منهم المجالِسَ

والمساجد، تراهُم في بطون الألحاد صرعَى، لا يجِدون لما هم فيه دَفعًا، ولا يملِكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

فيا قوم: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ –رضي الله عنه– أنَّ رسولَ الله قال: "لا تزول قدما ابنِ آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟! وعن شبابِه فيم أبلاه؟! وعن مالِه من أين اكتسبه؟! وفيمَ أنفقه؟! وماذا عمِل فيما علِم؟!". رواه الترمذي.

ويقول عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "ما ندمتُ على شيء ندَمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزِدد فيه عملي".

فيا تاركًا للصلاة ومتهاونًا بها: كفاك تركًا لما يصلك بالله، وأنت تنام عن الفجر والعصر، لم تعرف روضة المسجد لك مكانًا، فأنت دائمًا في صلاتك تقضي، وبسرعة منها تمضي، ما لحالك لا يتغير؟! زدت في دنياك وتقدمت، ونقصت في آخرتك وتأخرت.

يا مطلقًا لسانه بالحرام: إلى متى وأنت تطلق لسانك يفري في أعراض الناس، ينهش لحومهم، غيبة ونميمة كذبًا وافتراءً؟! يا رعاة البيوت: جلبتم آلات اللهو في بيوتكم، ونشأتم عليها صغاركم ونساءكم، وجعلتم مواقع التواصل تاج

عز فوق رؤوسكم، وعمن لا يصلي من أبنائكم ويفجر ويعصي غضضتم طرفكم، ألا تتقون مولاكم الذي ولاكم!! كم رأينا في هذه الحياة من بنى، وسكن غيره، وجمع ثم أكل وارثه، وتعب واستراح من بعده.

فيا عبدَ الله: استدرِك من العمر ذاهبًا، ودع اللهو جانبًا، وقم في الدُّجى نادِبًا، وقف على الباب تائبًا، فعن أبي موسى الأشعريّ –رضي الله عنه– قال: قال رسولُ الله: "إنَّ الله –عزّ وجلّ– يبسط يده بالليل ليتوبَ مسيء النهار، ويبسُط يدَه بالنهار ليتوبَ مسيء الليل، حتى تطلعَ الشمس من مغربها". متفق عليه.

آنَ والله أن ترجع النفس وتتوب، وتتجه لخالقها وتؤوب: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا هو تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله –عباد الله– و ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

ولنتذكر بانقضاء العام انقضاء العمر، وبسرعة مرور الأيام قرب الموت، وبتغير الأحوال زوال الدنيا وحلول الآخرة، فالأيام تُطوى، والأعمار تَفنى، والأبدان تَبلى، والسعيد من طال عمره وحسن عمله، والشقي من طال عمره وساء عمله كما صح بذلك الخبر، والأعمال بالخواتيم، فمن أصلح فيما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وما بقي، الموتى يتحسّرون على فوات الحسنات الباقية، والأحياء يتحسرون على فوات أطماع الدنيا الفانية، ما مضى من الدنيا وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته وبقيت تبِعاته، وكأن لم يكن إذا جاء الموت وميقاته.

فاتقوا الله –عباد الله–، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، واعلموا – رحمكم الله– أن من أفضل الطاعات وأشرف القربات كثرة صلاتكم وسلامكم على خير البريَّات، فقد أمركم بذلك ربكم في آيات بينات، فقال تعالى قولاً

كريمًا: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.